الشر الأخلاقي عند القدّيس أوغسطين
من الوجود إلى اللاّوجود
Augustine's moral evil:
From existence to non-being

الاسم واللقب: كحول سعودي
مختبر:/
كلية: ع. **إنسانية** جامعة: قالمة البلد: الجـــزائر
البريد الالكتروني: kahoulguelma@gmail.com

Name & Surname: Kahoul Saoudi*
Laboratory: /
Faculty : **University:** GUELMA **Countery:** ALGERIA
kahoulguelma@gmail.com **Email:**

قُدم للنشر في:03-09-2020 قُبِل للنشر في:25-10-2020 **نشر في:** 2021/02/26

Received:03-09-2020 **Accepted**; 25-10-2020
Bublier le 26/02/2021

ملخص:

يمكننا أن نقول عموما أنّ الشرور في نظر" أوغسطين "نابعة من الخطيئة الإرادية للنفس التي منحها الله القدرة على اتخاذ القرار الحر، والذي ينجم عنه العقاب، ولكن بفضل النعمة الإلهية يُعلي الله من قوة إرادتنا للابتعاد عن الشّر الذي ليس له أي وجود، طالما أنّه إعدام للخير وذلك بناء على حدوس الأفلاطونية المحدثة .

لقد فسّر" أوغسطين "نظرية الخير الدائم وفقا لتعاليم الإنجيل، لأن الخير هو القانون الإلهي الأبدي أي النظام العام الصادر عن الله فهو مطابقة هذا النظام واحترام القانون أو مبدأ الطبيعة أما الشر فيكمن في معارضته .وما ينجم عن ذلك هو الربط الضروري - في نظره - بين الخير والإرادة، فقد تكلم عن الإرادة الخيّرة كأصل لكل فعل حسن، مع اعتبارها خيرة في ذاتها.

الكلمات المفتاحية: الشر، الخطيئة، الحرية، الارادة الخيرة، الطبيعة، القانون الالهي.

Summary:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

We can say generally that the evils of the sight of "Augustine" come from the voluntary will of the soul that God has granted the capacity to make a free decision, which involves a punishment, but thanks to the divine grace God exalts us from our desire to distance ourselves from evil which does not exist, as long as it Execution of good, based on the updated Platonic intuition.

Augustine interpreted the theory of permanent goodness according to the teachings of the Bible, because goodness is the eternal divine law, that is to say the general system emitted by God, it is the conformity of this system and respect for the law or the principle of nature, but the evil is to oppose it. This results in the necessary link - according to him - between good and will, because he spoke of good will as the origin of all good action, considering it as good in itself.

Keywords: evil, sin, freedom, good will, nature, divine law.

مقدمة:

لقد طرح القدّيس "أوغسطين "عدة تساؤلات حول أصل الشّر (Le Mal)، فاعتبر هذه المشكلة غامضة ومستعصية، أيّا كان مصدر الشر. وقد قام بأبحاثه واثقا من ضلال تعليم المانويين في أثناء تحرّيهم عن مصدر الشر، منتفخين خبثا، ميّالين إلى الاعتقاد أنّ الذات الإلهية أكثر قابلية لتحمل الشر، منهم إلى ارتكابه .لكن وبما أنّ الله صالح فإنّه لم يبدع سوى مخلوقات صالحة، وهو الذي يملأها ويشملها بعطفه .فأين هو الشر إذن؟ ومن أين يأتي؟ وكيف تسرّب؟ وما هو أصله؟ إن لم يكن موجودا، فلم إذا نخاف ونحذر ممّا لا وجود له؟ ولكن، إن كنّا نخشاه ولا مبرر لخوفنا فهذا شر حقيقي يعذّب قلبنا دون مبرر . وعليه إمّا أن نخاف من شر موجود وإمّا أن يكون خوفنا نفسه شرا .ومن أين يأتي الشر طالما أنّ الله نفسه صالح؟ إنّ الخير الأسمى)الله (قد خلق حقا ما هو أقل صلاحا منه، ومع ذلك فالخالق والمخلوق كلاهما صالح . هل يأتي الشر من المادة التي نظمها وكونها وصورها؟ لكن لله القدرة على تحويلها حيثما لا يظل فيها أثر للشر؟

أ -هل المادة مصدر الشر؟

حاول "أوغسطين" أن يجيب عن سؤال: ما هو أصل الشر؟ من أين يأتي الشر؟ الإجابة الأوغسطينية ضاربة جذورها في التراث اليوناني بتأثير من "أفلوطين". فلماذا لا نقول أنّ المادة هي مبدأ الشر؟ بما أنّ الوجود هو الخير، فإنّ عكس الوجود هو بالضرورة الشر، والمادة هي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بمعنى ما لا وجود أو ليست تقريبا شيئا. وهو ما سمح "لأفلوطين" أن يقول في آن معا أنّ المادة لا وجود، وهي مع ذلك المبدأ الحقيقي للشر. إنّها الفكرة التي تأثر بها "أوغسطين" في البداية لأنّها الطريقة البسيطة لتفسير جميع النقائص الضرورية في العالم. لكن جواب "أفلوطين" عن هذه المشكلة يتسق مع مذهبه الذي لا يعتبر الله خالقا بالمعنى الذي نجده في الكتاب المقدس[1]. وعلى الرغم من أنّ "أفلوطين" يذهب إلى أنّ الشر يظهر لنا في الحرمان من كل خير، وبأنّ الأفضل أي الخير هو المثال، بينما الشر فهو ما دونه أي حرمان من الخير، فإنّه يعتبر المادة مصدرا للشر، وفي هذا يقول: " أمّا الشر فمن الأصل القديم يعني الهيولى بكونها محلاّ معدّا لقبول الأشياء ولمّا ينظم(...) بأنّ الهيولى هي الشر. ذلك لأنّ ما تفعله الصفة وهي مسبوكة في الهيولى، لا تفعله وهي مفارقة قائمة بذاتها..."[2]. فكل طبيعة مخلوقة سواء طبيعة مادية أو طبيعة فكرية هي خيّرة وليست شرا في ذاتها. وهذا ما عالجناه في مسألة الخير عند "أوغسطين"، فالقول إذن بأنّ المادة مخلوقة وشريرة معا يؤدي إلى تناقض صريح في التخطيط المسيحي، لذا فالمادة عند "أوغسطين" ليست شرا حتى وإن كانت مبدءاً بسيطا للّاتعيين واللّامكان والاضطراب، فإنّها ليست مسؤولة عن وجود الشر. خاصة وأنّه لا يليق بالصالح أن يخلق إلاّ ما هو صالح فالله خيّر وعادل يرعى البشرية بعنايته لا يمكنه أن يكون مصدرا للشر.

فما طبيعة الشر وما أصله عند "أوغسطين" يا ترى؟

ب- الشرّليس طبيعة:

ويذكر أنّ الخير هو الوجود أمّا الشر فهو العدم، يقول: " وبالنسبة إليك، لا شرّ، ولا أقول بالنسبة إليك وحسب بل إلى كل ما خلقت لأنّه خارج عن هذه الخليقة، لا شيء يستطيع أن يستولي على النظام الذي وضعته لها ويعكّره، عن تنافر أعضائها ينجم الشر، وعن تناسق هذه العناصر فيما بينها وبين سواها ينتج الخير(...) مالا خير فيه لا كيان له، وكل كائن يثبت في الكينونة بمعزل عن الفساد أفضل من غيره لأنّه باق بلا فساد(...) إذن يتساوى الحرمان من الخير مع العدم "[3]. الله هو الوجود المحض والأسمى عند "أوغسطين"، فليس له من نقيض إلاّ

[1] ايتين جلسون: الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص 175.
[2] أفلوطين: تاسوعات أفلوطين، ص 103.
[3] أوغسطين: اعترافات، ص136.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما ليس بموجود، وكل ما يوجد في الكون فهو خير، وكل طبيعة خير، وكل خير مصدره هو الله. لذلك فإن اللاّوجود أو العدم هو الشر.

فمعنى الشر عند "أوغسطين" بالتعبير الأنطولوجي هو إعدام الخير أو نقص في الوجود، وعندما يتعلق بالشر الفيزيائي فيعني غياب التوافق بين بعض عناصر الخلق وبعضها الآخر، على أنّ كل عناصر هذا الخلق خيّرة في ذاتها، ويجب علينا تقبل الطبيعة كما هي كائنة، لأنّ الله خلق كل شيء خيّرا. لكنّه قد تتوجه الإرادة إلى أشياء دنيا بدلا من توجهها إلى الله، وهنا ينتج الشر. فالشر ليس له أيُّ وجود، فما هو إلاّ إعدام وسلب للخير[4].

يضيف القدّيس "أوغسطين" أنّ الله قد خلق التناسب أو الكيف (Le Mode)، والصورة (La Forme)، والنظام (L′ ordre)، وأنّ الكائنات التي تتضمن هذه الكمالات أفضل من غيرها، وهي بمثابة الخيرات العامة لهذه الكائنات التي خلقها الله، سواء الروحية أو المادية. وهذا نفسه دليل على أنّ الله أسمى وأعلى وأعظم، لأنّه يتضمن التناسب كلّه، والصورة كلّها، والنظام كله. وفي هذه الحالة كلما كانت هذه الكمالات أكبر، كانت الخيرات كبيرة، وكلما كانت أصغر، كانت الخيرات صغيرة، وإذا انعدمت انعدم معها الخير. وينجم عن ذلك أنّ حضور هذه الصفات هو حضور الطبيعة حضورا كبيرا، وعلى العكس من ذلك فإن غيابها وانعدامها هو زوال لكل طبيعة، لذلك فإنّ كل طبيعة هي خير[5]. وحول هذه الفكرة يقول "أوغسطين": " ما الشر إلاّ فساد في تناسب، أو صورة، أو نظام الطبيعة. وكذلك نسمي طبيعة ما سيئة تلك القابلة للفساد، طالما أنّ الطبيعة غير الفاسدة هي خيّرة حقا. لكن الطبيعة الفاسدة بوصفها طبيعة فهي خيّرة، وبوصفها فاسدة فهي سيئة "[6]. يلزم عن ذلك أنه كلما فقد الشيء كمالا من الكمالات السابقة أو أكثر قلت خيريته، إلى أن تنعدم فيُسلب الخير ويفسد، وذلك هو معنى الشر. وبهذا نستطيع التمييز بين الأشياء القيّمة أكثر والأشياء الأقل قيمة.

للموجودات إذن في نظر "أوغسطين" ثلاثة كمالات (التناسب، الصورة، النظام)، وبحسب نصيبها من هذه الكمالات، سواء أكانت كائنات جسمانية أم روحية، تكون مرتبتها في الخير. أمّا الشر فهو فساد واحدة من هذه الكمالات أو فسادها كلّها. إنّه عدم كمال من هذه الكمالات.

4 Serge Cansel: Saint Agustin, p131.
5 Saint Augustin: La Morale Chrétienne, pp 443 – 445.
6 Ibid, p445.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشر إمّا طبيعي أو أخلاقي. وفيما يتصل بالشر الطبيعي، يلاحظ أنّ الأشياء لو نظر إليها في ذاتها فإنّها خيّرة. فإن قيل: إنّ العالم مسرح للخراب والدمار بفعل العوامل الطبيعية كالزلازل والبراكين والعواصف، فالرّد على هذا هو أنّ الأشياء التي تهدّمت هي في ذواتها خيّرة، ولا بأس أن تحل بعض الأشياء محل بعض، وأنّه لجميل منظر التغير الذي تحدثه هذه العوامل الهدامة. أمّا الشر الأخلاقي فإنّه يرجع إلى حرية الإرادة الإنسانية[7]. فهل الشر جوهر (طبيعة)؟ وهل الإرادة وحدها مسؤولة عن فعل الشر؟

لقد ساعدت النظريات الأفلاطونية "أوغسطين" على إدراك معنى الخير والشر، وأنّ الأشياء خيرات بالطبع والشر عرضي وليس جوهرا، وهو حد للخير[8]. وفي هذه المسألة يبدأ "أوغسطين" رأيه بالرّد على المانوية التي تعتبر الشر جوهرا، وبالتالي فهو موجود كوجود الخير تماما[9]. فالمانوية، وانطلاقا من مبدأ الثنائية المعروف لديهم، يعتقدون أنّه من البديهي القول بعدم وجود جوهر واحد، إذ لا تشابه في نظرهم بين الظلمة والنور، ولا بين الحق والباطل، ولا بين الحياة والموت...[10].

يقول "أوغسطين" في نقده للمانوية بأنّ الشر ليس إلاّ فساد (Corruption)، وليس طبيعة، بل هو ضد الطبيعة. والفساد هو شر كل الأشياء التي يمكننا أن نكتشف فيها العدم أو الحرمان (الشر)، ففساد العالم يسمى الجهل، وفساد الحكيم هو اللاّحكمة، وفساد العادل هو اللاّعدل، وفساد الشجاع هو الجبن، وفساد النفس الساكنة هو الجشع والقلق، وفساد الصّحة في الجسم الحي يسمى الألم والمرض، وفساد الجمال هو القبح، وفساد النظام هو اللاّنظام، وفساد الكمال هو النقص والصدع. سيكون صعبا إحصاء كل حالات الفساد واحدة بواحدة. فالفساد لا يعدم إلاّ عندما يُلحق اضطرابا بحالة طبيعية، فهو بطبيعة الحال ليس طبيعة، لكنه ضد الطبيعة. وينجم عن ذلك بداهة أنّه لا طبيعة هي شر[11]. وفي هذا الموضوع يقول "أوغسطين": " لا يمكن للشر أن يكون جوهرا، بل فقدان الخير. انطلاقا من الأرض إلى السماء، من المنظور إلى غير المنظور، نجد خيورا أفضل من سواها، غير متساوية

[7] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص ص251-252.

[8] حنّا أسعد فهمي: تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها إلى الآن، تحقيق وتقديم، عقبة زيدان، دار نور، دمشق، سوريا، 2009، ص 146.

[9] Saint Augustin: La Moral Chrétienne, p271.

[10] Francoi Decret: Aspects Du Manichéisme Dans L'afrique Romaine, Alger, 1968.

[11] Saint Augustin: Six Traités, Anti - Manichéens(17), pp 487—489.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيما بينها، إنّها كلها خيور"[12]. ويقول أيضا: " وعليه طالما أنّ الشيء موجود فهو خيّر، وكل موجود خير، والشّر الذي كنت أبحث عن علته ليس جوهرا، إذ لو كان جوهرا لكان خيرا. إمّا أن يكون جوهرا لا يقبل الفساد وبالتالي فهو خير عظيم، أو أن يكون جوهرا قابلا للفساد، وهذا لا يمكن أن يكون، إلاّ إذا كان الجوهر خيّرا "[13]. ويعني "أوغسطين" بالجوهر الذي لا يقبل الفساد أو الخير العظيم الله تعالى، الذي هو الخير الأسمى والمطلق، أمّا الجوهر القابل للفساد فهو دلالة على أي كائن خلقه الله باعتباره طبيعة جسمانية أو فكرية. فالخير جوهر أو طبيعة، وفي ذلك فهو وجود، أمّا الشر فهو مجرد عرض نقيض الطبيعة، وفي ذلك فهو عدم ولا وجود. فالشر يزيل خير الطبيعة ويفسده.

وهنا نستخلص الحقيقة الوجودية للخير والشر، فالخير شيء بالفعل، أمّا الشر فلا يمكن أن يعتبر وجودا لأنّه سلب للخير، وهذا يعني أنّ الخير شيء ايجابي لوجود ما، أمّا الشر فهو نقصان أو عدم[14]. وحول طبيعة الشر يتفق "موسى بن ميمون" مع آراء "أوغسطين"، يقول الفيلسوف اليهودي: "... من كون الشرور إنما هي شرور بإضافة إلى شيء ما، وإن كان كل ما هو شر في حق موجود من الموجودات، فإنّ ذلك الشر هو عدم ذلك الشيء، أو عدم حالة صالحة من حالاته. ولذلك تطلق القضية، ويُقال الشرور كلها إعدام. مثال ذلك في الإنسان، فإن موته شر وهو عدمه. وكذلك مرضه أو فقره أو جهله، شرور في حقه، وكلها إعدام ملكات "[15].

ج- أصل الشرّ:

ينفي القدّيس "أوغسطين" أن يكون الله مصدرا للشر، فيقول: " الله مصدر الخير وليس مصدرا للشر، هل يعقل أن يكون الرب الإله مصدرا للشر(...) يا مبدع الأشياء الطبيعية ومنظمها ماعدا الخطيئة، طبعا فأنت لها ضابط لا مبدع "[16].

في البداية تبنّى فكرة الأفلاطونية المحدثة القائلة بأنّ الجسد والمادة بصفة عامة هما المصدر الأساسي للشر في هذا العالم. وقد ذهب إلى أنّ المادة هي أدنى درجة في سلسلة

[12] أوغسطين: مدينة الله، ج2، ص36.
[13] أوغسطين: اعترافات، ص136.
[14] فايزة أنور شكري: القيم الأخلاقية، دار المعرفة الجامعية للطبع وللنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2011، ص110.
[15] موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، ص493-494.
[16] أوغسطين: اعترافات، ص ص 17 ، 24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموجودات، وهي لهذا السبب تتصف بالاضطراب واللاّتحدد واللاّتعين، ومن هنا كانت مصدرا للشر في العالم. غير أنّ "أوغسطين" سرعان ما رفض هذا التفسير على اعتبار أنّه يتناقض تناقضا واضحا مع محتوى الكتاب المقدس المتضمن للفكرة القائلة بأنّ كلَّ ما خلقه الله حسن، فإذا كانت المادة من خلق الله فلا بد أن تكون شيئا حسنا أي خيرا وليست شرا. ومعنى ذلك أنّها لا يمكن أن تكون مصدر الشر في العالم. فبدأ "أوغسطين" من ذلك يجد ما يبرر وجود الشر في العالم، بعد سماعه إلى عظات أسقف مدينة روما القديس "أمبرواز" حول شرح الكتاب المقدس، والرّد على المانويين وغيرهم من المبتدعة[17].

وبعد جهد كبير توصل "أوغسطين" إلى الرأي القائل بأنّ حرية الاختيار في ارادتنا هي علّة شرورنا، حيث لم يتوصل إلى إدراك الفكرة بوضوح إلاّ بعد ارتفاعه قليلا إلى النور الإلهي فأدرك أنّه عندما يريد أو لا يريد فهو واثق ثقة مطلقة أنّه هو من يريد أو لا يريد وليس شخصا آخر. ومنذئذ أدرك أنّ أصل الشر كامن في الإنسان، والدليل على ذلك -في نظره- هو العقاب الإلهي العادل الذي ينزله على العبد، واعتبار هذا الأخير مسؤولا عن كل أفعاله[18]. فليس للشر عند "أوغسطين" علّة أخرى غير حرية اختيار الإرادة. وفي هذه المسألة يقول "أوغسطين": "... الإرادة إذن هي العلّة الأولى للخطيئة[19] "[20]. ومعنى ذلك أنّ الرذيلة يرتكبها الإنسان بإرادته، حينما ينحرف عن الفعل الحسن، والناجمة عن استعمالنا السيئ لحريتنا بتعبير مالبرانش القائل: "... لكن حريتنا هي العلة الحقيقية لأخطائنا[21].

والرذيلة عند "أوغسطين" شرّ، تُفسد في الناس الذين هم أعداء الله خير طبيعتهم. وهي مناقضة لله، وليست الطبيعة مناقضة له، لأنّ الشر هو نقيض الخير، وبمعنى آخر فالرذيلة مناهضة لله كما الشر للخير، على أنّ الطبيعة ذاتها التي يفسدها الشر هي خير، وهو مناف له، وهذا الشر لا يمكنه أن يؤذي الله بل إنّه يؤذي الطبائع القابلة للتغير والفساد، في حين أنّ الله خير أسمى وطبيعة ثابتة. وهذه الطبائع أفسدتها الرذيلة الناتجة عن الإرادة الشريرة التي

---

[17] عصام زكريا جميل: مصادر فلسفية، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2012، ص ص 93 - 94.

[18] أوغسطين: اعترافات، ص 124.

[19] الخطيئة هي رفض هبة الله بواسطة حرية الإنسان، الذي يظن بأنه تحرر وتخلّص من الشرط الذي يحرّظه على سقوطه.

- Dominique Folscheid: (Que sais-je ?), Les Grandes Philosophies, 7ème édition, Puf, Paris, 2006, p29.

[20] Saint Augustin: Les Révision (12), p317.

[21] Malebranche: De La Recherche De La Vérité, livre 1-3, p148.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هي ليست شريرة إلاّ لكونها ضحية لرذيلة ما بينما هي جيّدة بصفتها طبائع[22]. يقول القدّيس "أوغسطين" حول هذه الفكرة: " إذا كانت طبيعة الله ثابتة لا تزول، فإنّ الكائنات المخلوقة من العدم قابلة للزوال، فهي تكثر من عمل الخير بقدر مالها من كيان وعللها فعّالة، ولكن بما أنّها ذاهبة إلى الزوال فهي تعمل الشر وعللها ناقصة إلى زوال. والإرادة الشريرة ليست فيمن تقيم إلاّ لأنّه هكذا يريد وقد يكون بخلاف ذلك إذا أراد"[23].

وهكذا، فإنّ الشر الأخلاقي عند "أوغسطين" من إرادة الإنسان الحرّة، لأنّ الإنسان قابل للتغير كالكائنات المخلوقة الأخرى، فهو قادر على التمرد والعصيان، أي عصيان أوامر الله، فإنّه قد عصى وتمرّد، رغم أنّه لا يريد موضوعا هو شر في ذاته لأنّ في ذلك تناقض، بل في سبيل البحث عن الخير أشاح بوجهه عن الله، وهو على الرغم من أنّ الله صنعه فقد فضّل نفسه على الله، وهو بفعله هذا جلب الشر الأخلاقي إلى هذا العالم، أو كان يمكن أن يجلبه لو لم يسبقه إبليس. وفي كل مرة يرتكب فيها الإنسان خطيئة فإنّه يجدد فعل التمرّد هذا. فالشر القائم في العالم ينبع أساسا من الإرادة الحرّة للإنسان الذي يختار قراراته بحرّية. والسؤال المطروح في نظر "أوغسطين" هو: كيف يمكن أن يكون الله الكامل قادرا على إعطائنا حرية الإرادة، أي الإرادة القادرة على فعل الشر؟ يجيبنا أنّ ذلك ناشئ عن سوء استعمال الحرية بنبذ الخير الدائم والإقبال على خير زائل فهو عدم النظام في الإرادة، فالشر يرجع إلى حادث يمكن تجنبه، ولكي يبعده إلى هامش الخير أعني يحصره في أطراف هذا الكون الخيّر أساسا[24]. فالشر عند "أوغسطين" نابع عن فساد في الإرادة، لكن ما معنى فساد الإرادة؟

يصف الشر بأنّه الإنحراف إلى ما يخالف نظام الطبائع، وذلك في التخلي عن الكائن الأسمى إلى الكائن الأسفل، وفي الواقع ليس البخل عيبا في الذهب إنّما عيب في الإنسان الذي يحب الذهب حبّا غير منظم، ويحتقر العدل الذي يُفضّل على الذهب بما لا يُقدّر بثمن. والنجاسة ليست عيبا في الأجساد الجميلة والبهية ولكنها عيب في النفس التي تنقاد وراء شهوة جامحة إلى إشباع الملذّات الجسدية على حساب القناعة التي تجمعنا إلى الجمالات الروحية والنعم غير

[22] أوغسطين: مدينة الله، ج2، ص 63.

[23] المصدر نفسه، ص 70.

[24] اتين جلسون: الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص ص 184 ، 190.

يُلاحظ أيضا في:

- Étienne Gilson: Introduction à La Philosophie De Saint Augustin, pp188-189.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القابلة للفساد. إنّ الشر يزيل خير الطبيعة ويفسده، ولا تصير الإرادة هكذا إلاّ عن طريق السقوط القائم على التخلي عن الله[25]. فارتكاب الرذيلة أو الخطيئة هو الابتعاد عن الخير وحب الله الذي هو في نفس الوقت عصيان لأوامر الله بإتباع الهوى والانغماس في الشهوة الجسدية فيضعف الروح والعقل كنتيجة طبيعية للخطيئة، ويكون الأسمى في نظام الروح تابعا لما هو أدنى.

د- الخطيئة:

إجمالا، الخطيئة عند "أوغسطين" هي الكلام، أو الفعل، أو الرغبة ضد القانون الأبدي. أليس القانون الإلهي أعلى من الطبيعة، أو هو فوق الطبيعة؟ ألا يبدو من الأوفق أن نعرّف الخطيئة بأنّها تعارض القانون الذي يحكم الطبيعة ويسيطر عليها. وما دامت الطبائع هي طبائع لأنّ الله جعلها كذلك، فإنّ عصيانها، أو انحراف هذه الطبائع عن ماهيتها الخاصة، يعني انتهاك القانون الذي وضعه الله فيها بفعل الخلق، ومن ثمة فإنّ استقامة الفعل البشري تقاس بمدى اتفاقه مع الإرادة الإلهية، أي بطاعته لأوامر الله. والقانون الأبدي لا يعني شيئا آخر سوى عقل الله الذي يضم ويشمل العقل الإنساني، ويعني أيضا وصايا الله. فعصيان العقل هو عصيان الله نفسه، وكل خطيئة هي خرق للقانون الإلهي[26].

ولكن تختلف طبيعة الشر عند "أوغسطين" كثيرا عن الشر الأخلاقي في الفلسفة اليونانية القائمة في الانحراف عن الطبيعة العاقلة للإنسان أو الانتقاص من إنسانيته، وهذا ما يبدو واضحا عند "أرسطو" وأتباعه "كتوما الأكويني". فالخير عند "أرسطو" هو في التزام أوامر العقل، مع التعود على ذلك، لأنّ الأخلاق عنده قائمة على ملكة العقل، ويحدث أن تكون أفعال الإنسان متوافقة مع هذه الملكة، أو مناقضة لها، فتكون خالية من التعقل[27].

خاتمة:

لقد بحث "أوغسطين" عن علاج (ترياق) سريع للخلاص من الخطيئة، فلم يجده إلا في النعمة الإلهية، إذ أن الإنسان قادر وبمساعدة هذه النعمة على تجنب الخطيئة، حيث لا

---

[25] أوغسطين: مدينة الله، ج2، ص ص 71- 72.

[26] إتين جلسون: الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص ص 423 ـ 425.

[27] Aristote: Éthéque à Nécomaque, Traduction Barthélemy Saint Hilaire, Librairie Générale Francaise, Paris, 1992, pp51,74.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شخص في هذه الحياة يعيش دون أن يرتكب الآثام، وهذا هو المبدأ الذي أوصله إليه تأمله الدقيق لنظام الطبيعة ونظام ما فوق الطبيعة، فجاء مذهبه روحانيا وحدسانيا نابع من الإيمان المسيحي، ومن إيمانه بالإرادة الحرة.

وفي هذا لا يفصل فيلسوفنا بين نظريته في الأخلاق وبين إدراكنا للحق أو حقيقة الحقائق أي الله كأساس لكل الحقائق (الحق واحد)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإذا كان الخير الأسمى واحدا بالنسبة لجميع الناس، فيجب أيضا أن تكون الحقيقة واحدة ومشتركة بين جميع الناس، فمثلما أن الموضوعات التي نراها كثيرة ومتعددة فإن نور الشمس يبقى رغم ذلك واحدا دون شك، وهذا يصدق على الجمال أيضا، إذ يعد ثابتا وواحدا، فالحياة الخيرة والسعيدة نفسها تقوم على اكتشاف الحقيقة، ومنه فمعرفة الله ما هي إلا معرفة الحقيقة وإدراك اليقين. فذاك حق وكل حق هو خير وجمال في الوقت نفسه، فلا شيئ يمنع من امتلاك حكمة واحدة مشتركة للجميع، وكل هذا يدل عند "أوغسطين" على وجود اليقين المطلق واللاّنهائي والخير الأسمى والثابت الذي هو الله، وهو الغاية القصوى في فلسفته وتفكيره اللّاهوتي معا. فالله بهذا المعنى هو الوجود الأسمى لأن ما هو فاسد ومتغير فإنه أدنى بكثير في الترتيب الأنطولوجي، فالله عنده هو الخير مصدر كل خير، وهو الجمال مصدر كل جمال، وهو الحق مصدر كل حق لأنّه ينتج فينا كل حقيقة. ومعنى ذلك أن بناءه الفكري كله يقوم أساسا على الحدس الفلسفي الذي يتمثل في الدراسة العميقة لعناصر المحتوى المختلفة لتلك المسائل التي تناولها.

إن الأبحاث في ميدان الفلسفة الوسيطية المسيحية وخاصة الأوغسطينية منها ما تزال مجالا فسيحا للبحث والدراسة، فهي لم تتوقف بسبب ارتباطها بالمسائل التي يطرحها العقل الفلسفي في واقعنا الراهن مثل وسائل اكتساب المعرفة والفعل الأخلاقي والقيم ومسائل الدين وعلاقتها بالعلوم الأخرى والمشكلات المتصلة باللغة والتأويل وغيرها. لذلك ما يزال العديد من المشكلات والآراء والنصوص الفلسفية الأوغسطينية الغامضة والصعبة ينتظر التعمق أكثر في التحليل والقراءة والفحص.

المصادروالمراجع:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- أوغسطين: اعترافات، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط5، 1989.

2- أوغسطين: مدينة الله، ج2، ترجمة الخوري أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2008.

3- أفلوطين: تاسوعات أفلوطين، ، ترجمة فريد جبر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997.

4- ايتين جلسون: الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة وتعليق إمام عبد الفتاح إمام، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 2009.

5- حنّا أسعد فهمي: تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها إلى الآن، تحقيق وتقديم، عقبة زيدان، دار نور، دمشق، سوريا، 2009.

6- عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984،

7- عصام زكريا جميل: مصادر فلسفية، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2012.

8- فايزة أنور شكري: القيم الأخلاقية، دار المعرفة الجامعية للطبع وللنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر،2011.

9- موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، ترجمة وتقديم حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية، (دط)، (دس).

10- Aristote: Éthéque à Nécomaque, Traduction Barthélemy Saint Hilaire, Librairie Générale Francaise, Paris, 1992.

11- Étienne Gilson: Introduction à La Philosophie De Saint Augustin, 2ème édition, Librairie philosophique J. Vrin, 1943.

12-Saint Augustin: La Morale Chrétienne, Introduction et traduction, B. Roland-Gosselin, Edition Desclée De Brouwer et Cie, Paris, 1949.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

13- Saint Augustin: Six Traités, Anti - Manichéens(17), Traduction, R. Jolivet et M. Jourjon, édition Desclée de Brouwer et Cie, Paris 1961

14- Saint Augustin: Les Révision (12), Traduction Gustave Bardy, Desclée de Brouwer et Cie, Paris, 1950.

15- Dominique Folscheid: (Que sais-je ?), Les Grandes Philosophies, 7ème édition, Puf, Paris, 2006.

16- Francoi Decret: Aspects Du Manichéisme Dans L'afrique Romaine, Alger, 1968.

17- Malebranche: De La Recherche De La Vérité, livre 1-3, Librairie philosophique J. Vrin, Paris, 2006.

18- Serge Cansel: Saint Agustin, édition, Fayard, Paris, 1999.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com